الخطاب المعتدل وأثره على التعايش السلمي في تعزيز الأمن المجتمعي وفق المنظور الإسلامي

Moderate discourse and its impact on peaceful coexistence in enhancing community security

أ. م. د.عمار باسم صالح الياسري

كلية العلوم الإسلامية/جامعة بغداد

أ. م. د.محمد فرحان عبيد النائلي

كلية الفقه/جامعة الكوفة

According to the Islamic perspective

Prof. Dr. Ammar Basem Saleh

College of Islamic Sciences/University of Baghdad

Prof. Dr. Muhammad Farhan Obaid Al-Naili

Faculty of Jurisprudence / University of Kufa

ملخص البحث

إن من اهم الامور التي تبحث عنها جميع المجتمعات في العالم وهو السلم الاهلي او التعايش السلمي بين الاديان والمذاهب والملل الاخرى.

حاول البحث إبراز أن الخطاب الديني يجب أن يركز على المساواة في الحقوق والواجبات لكل فرد من أفراد المجتمع ومن غير تفضيل لفرد على آخر تحت أي مسوغ كان ديني أو عرقي أو فكري أو سلوكي أو مجتمعي ، وهدفها بالأساس تحجيم التعصب الديني لدى الديانات والمذاهب المختلفة في المجتمع الواحد.

يؤكد البحث ان التعايش هو إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالمَ، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعارف على مافيه الخير الذي يعم بني البشر جميعا دون استثناء، وقد أبرز البحث جملة من الحقائق بعد أن تمت معالجة المقدمات الممهدة لها؛ اذ وضح البحث أهمية تفعيل نبذ التطرف في المجتمع والآلية الناجعة للحد من الفتن و الصراعات الطائفية و العرقية والجنسية في أي مجتمع على قاعدة المساواة وعدم التمييز.

اكد البحث على إن مفهوم الأمن المجتمعي يُعد من المفاهيم الحديثة التي لم تعرف في ثقافتنا الإسلامية بلفظه، ولكن مضمونه قديم.

بين البحث ان الخطاب الديني يتصف بالوسطية، وهي عدم التعصّب لمذهب معين، بل الأخذ بالنافع من تراثنا الإسلامي،وان نبذ التطرف له اثر في ترسيخ مقصد مهم من مقاصد الشريعة وهو المحافظة على عقول الناس، من الانحدار نحو التصورات الفاسدة، والافكار المنحرف لذا أصبح لزاما من ضرورة تحذير العوام من الولوج في فهم القضايا العلمية وبناء تصوراتهم على وفق قراءاتهم الخاصة وغير المنضبطة بأصول وقواعد التفكير العلمي والأكاديمي.

كما واكد البحث أن التعايش السلمي هو اتفاق وقبول وتصالح أخلاقي بين الناس في تعاملهم ومعاملاتهم حيث ما وُجِدوا في نفس الزمان والمكان.

خلص البحث الى إنّ للأمن المجتمعي الإسلامي حاجة ضرورية، لا تستقيم الحياة بدونه؛ بل هو أساس الأمن للمجتمعات عامة، وهو أهمها، وأساس وجودها واستمرارها، كونه عنصراً أساسياً في حفظ الضروريات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية بحفظها.

Summary:

One of the most important things that all societies in the world are looking for is civil peace or peaceful coexistence

between religions, sects and other denominations.

The research attempted to highlight that coexistence is the will of the people of the heavenly religions and different civilizations to work in order for security and peace to prevail in the world, and so that humanity lives in an atmosphere of brotherhood and acquaintance with what is the good that prevails among all human beings without exception. Peaceful coexistence is an expression that is intended to be a creation Understanding among peoples is far from war and violence.

The research confirms that coexistence is the will of the people of the heavenly religions and the different civilizations to work in order for security and peace to prevail in the world, and for humanity to live in an atmosphere of brotherhood and acquaintance with what is good that pervades all human beings without exception. Introductions to it; The research clarified the importance of activating the right of citizenship in society and the effective mechanism to reduce sectarian, ethnic and sexual conflicts and conflicts in any society on the basis of equality and non-discrimination.

The rejection of extremism has the effect of establishing an important purpose of the purposes of Sharia, which is preserving the minds of people, from regression towards corrupt perceptions, and deviant ideas. Therefore, it has become imperative to warn the public against entering into an

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن فهم النص الديني ضرورة معرفية لتوحيد الخطاب الديني وهو أمر ميسور وسهل ولا يصعب إلا على معرض عنه لم يجهد نفسه في البحث والاستقصاء عن أساليب فهمه وفهم قضاياه معتمداً الطرق السليمة لمعالجة ألازمات الفكرية التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية اليوم.

ولإعطاء فكرة عن مفهوم الخطاب الإسلامي المنشود،كان لابد من الانبراء والوقوف ضد التيارات المتعصبة من أجل خطاب إسلامي نهضوي يحقق الغاية من الهدف الذي تصبو إليه الأمة الإسلامية في الرفعة والحضارة،ويساير متغيرات العصر ومتطلباته ويعيش في زمانه المعاصر وفي مكانه الحالي،لذا ينبغي أن يتصف خطابنا الإسلامي بجملة من المواصفات؛ تعطي البعد الحضاري النهضوي للخطاب الإسلامي المعاصر؛ المستمد من خطاب الوحي، المتحرر من مؤثرات الأهداف المشبوهة.

ان فكرة اعتدال وتوحيد الخطاب بلا شك فكرة جميلة وبخاصة بعد الويلات التي جرتها الهويات الفرعية من اصطراع داخلي احرق الحرث والنسل، اصطراع مدروس يدفع باتجاه سمو مبدأ المواطنة و التعايش فوق الهويات الفرعية والثقافية المتنوعة المتشرذمة والممزقة والتي نجحت بسرعة في تفتيت النسيج المجتمعي.

بين البحث أن يتصف الخطاب الديني بالعقلانية، فلا يمكن للشخص أن يتحدث بأحكام الإسلام ويُلقي بها على المسامع دون أن يفكّر في تحليلها وتفسيرها وإيصالها إلى أذهان الناس بالوسائل والأساليب المناسبة .

وهناك اتجاه في بعض وسائل الإعلام يحاول جعل الخطاب الديني هدفا للفرد في المجتمع وصولا إلى محو الفوارق الثقافية بين إفراد المجتمع وانتهاءا إلى طمس الهويات الفرعية .

من أجل ما تقدم اخترنا هذا البحث، محاولين إماطة اللثام عن الموضوع بتجرد كبير.

واقتضت خطة البحث تقسيمه على مقدمة و مطلبين وخاتمة، تناولنا في المقدمة السبب من وراء اختيار عنوان البحث، وخصصنا المطلب الأول لإعطاء فكرة عن مفهوم الخطاب الإسلامي، وجعلنا المطلب الثاني مخصصا عن الخطاب والتعايش، وأما الخاتمة فقد أوجزنا فيها أهم نتائج البحث وما توصلنا إليه في هذه الرحلة الماتعة والمباركة، وأخيرا فهذا جهد المقل

فان وفقنا فهو محض فضل من الله وان كانت الأخرى فمنا ومن الشيطان، والله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم براء منه.

الباحثان

المطلب الاول

مفهوم الخطاب

لإعطاء فكرة عن مفهوم الخطاب الاسلامي نرى من المناسب ان نعرِّف الخطاب بأنه: (البيان الذي يوجّه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين أو غير مسلمين، لدعوتهم إلى الإسلام، أو تعليمه لهم، وتربيتهم عليه: عقيدةً أو شريعةً؛ عبادة أو معاملة؛ فكراً أو سلوكاً، أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم، فردية أو اجتماعية؛ روحية أو مادية؛ نظرية أو عملية)[١].

وهناك معنيين للخطاب الديني، احداهما عام والاخر خاص.

فالمعنى الأول: أن الخطاب الديني هو كل سلوك أو تصرف يكون الباعث عليه الانتماء إلى دين معين. سواء أكان خطاباً مسموعاً أو مكتوباً أو كان ممارسة عملية.

والمعنى الثاني: (أن الخطاب الديني يراد به ما يصدر عن رجال الدين من أقوال أو نصائح أو مواقف سياسية من قضايا العصر ويكون مستندهم فيها إلى الدين الذي يدينون به)[٢]. وهذا الإطلاق أخص من الذي قبله، وأقرب للمعنى اللغوي.

وينحصر المعنى في مجمل التعريفات حول السعي لنشر دين الله عقيدة وشريعة وأخلاقاً، ومعاملات وبذل الوسع في ذلك، لتعليم الناس ما ينفعهم في الدارين وبذل أقصى الجهد والطاقة من اجل خدمة هذا الدين الحنيف وامتثالا لأمر الله تعالى وامر رسوله ﷺ[٣].

وهناك من يلفت النظر إلى التوقف عند مفهوم الدلالة لمصطلحات: (خطاب الإسلام) و(الخطاب الإسلامي او الديني أو خطاب المسلمين)، فمصطلح (خطاب الإسلام)ينصرف إلى خطاب الوحي، بكل ألفاظه وظروفه وأحواله ومجالاته ومضامينه التي يعرض لها، وهو الخطاب المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أما (خطاب المسلمين) فهو ذلك الإنتاج الفكري والفقهي والعلمي، والتعبير عن سائر الفهوم والجوانب المعرفية، فهو يمثل خطاب المسلمين واجتهادهم وفهمهم في التعامل مع خطاب الإسلام في الكتاب والسنة

(١) جمال محمد بواطنة، تجديد الخطاب الديني المعاصر ضرورة ملحة ،ص١٥.

(٢) تجديد الخطاب الديني مفهومه وضوابطه د. عياض بن نامي السلمي، ، جامعة الإمام مهدي بن سعود الاسلامية، ص٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٤.

والسيرة، ومحاولاتهم تنزيله على واقع الحياة في كل زمان ومكان، وهو بطبيعة مصدره(الإنسان) محل الخطأ والنسيان، إذ إنه خطاب يأتي ثمرة لاجتهاد بشري يجري عليها الخطأ والصواب، وهو بطبيعته قابل للمراجعة، والمناقشة ، والتقويم، والاختبار، والتعديل، والإلغاء،(فالخطاب) بهذه النسبة هو المنتج البشري الاجتهادي المرتكز إلى قيم الإسلام، أو إلى(خطاب الإسلام)[١].

والخطاب الإسلامي المعاصر يعاني من غربة الزمان والمكان لدرجة كبيرة، وعدم إدراك حال المخاطبين وحاجاتهم وكيفية التعامل معهم وإيصال الخير إليهم، فالعالم يتطور بشكل سريع ومتزايد، والدنيا حولنا تتغير بحاجاتها ومشكلاتها فمن المنطقي أن لا تتم معالجتها بنفس الوسائل ونفس الطرح ونفس المنطق والتصور والخطاب[٢].

اذ يتخذ هذا الخطاب أساليب شتى قديمة وحديثة: من الخطبة والمحاضرة والدرس والحديث والمقالة والرسالة والكتاب والندوة والبحث الميداني، والتحقيق الصحفي والبرنامج الإذاعي أو التلفزيوني والعمل الدرامي، ويمكن أن يستخدم فيه النثر والشعر والزجل والقصة والمسرحية، كما يمكن أن يستخدم فيه كل أجهزة الإعلام المعاصر وآلياته: المكتوبة والمسموعة والمرئية، محلية واقليمية وعالمية؛ من الإذاعات الموجهة إلى القنوات الفضائية إلى شبكة الانترنت)[٣].

فالخطاب الإسلامي إذن هو خطاب الدعاة والوعاظ والخطباء والمفتين والباحثين، حين يقدم إلى جمهور الناس على أنه الوصف السليم والفهم الصحيح للإسلام في عقيدته ونظامه الأخلاقي وآدابه وشريعته، ولهذا الخطاب الإسلامي دور أساسي في تكوين العقل المسلم والوجدان المسلم، ومنه يتلقى عامة الناس تصورهم للإسلام وللعالم في ظله.

ومن الامور التي اهتم بها الاسلام وجعلها من ضمن القيم العليا التي لا نقاش واختلاف فيها المساواة، حيث وردت في نصوص صريحة في الصحيفة مثلا (ان ذمة الله واحدة) (وان بعضهم موالي بعض دون الناس) وهذا يعني انهم يتناصرون في السراء والضراء ، وتضمنت الصحيفة ان (المؤمنين يبني بعضهم على بعض بما نال دمائهم في سبيل الله) ،ومعنى قوله يبنى هو من البواء، أي : المساواة[٤].

ان مبدأ المساواة من اهم المبادئ التي تساهم في بناء لمجتمع وتحصينه وقد اهتم به الاسلام وله الصدارة في منظومة المفاهيم قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى...)).

---

(١) ينظر: عمر عبيد حسنة، الخطاب الإسلامي وقفة للمناصحة ، ص١٩-٢٢.
(٢) ينظر: عمر عبيد حسنة، من فقه الاستطاعة، ص١٠٣.
(٣) ينظر: جمال محمد بواطنة، تجديد الخطاب الديني المعاصر ضرورة ملحة، ، ص١٦.
(٤) ينظر : الروض الانف ،،السهيلي، (٢ /١٧).

وقال رسول الله (ﷺ) ((يا ايها الناس الان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، الا لا فضل لعربي على اعجمي ، ولا عجمي على عربي ولا احمر على اسود ، ولا اسود على احمر الا بالتقوى، ابلغت))[١].

حيث نقصد بالمساواة المساواة امام الشرع والقانون وكافة الاحكام الاسلامية[٢] وليس المساواة في جميع شؤون الحياة كافة وهذا غير معقول ومن البديهيات اختلاف الناس في قابلياتهم وكفاءاتهم بل الاختلاف والتفاوت في الخلقة الذي يقتضي عدم المساواة بل اعطاء كل ذي حقاً حقه من السنن الالهية بل هي غاية الخلق[٣].

المطلب الثاني: الامن المجتمعي ودور الخطاب الإسلامي في ارساء التعايش السلمي

يُعد الأمنُ من أهم الهواجس التي تشغل فكر الأفراد والجماعات؛ ونشأ مع بدء الخليقة، ويمكن القول بأن نشأتهُ ابتدأت منذ نزول البشر على الأرض، حين قام قابيل بالتخلص من أخيهِ هابيل عندما قتله[٤]، ولا يمكن فرز الأمن المجتمعي عن أنواع الأمن الأُخرى، لأن اضطراب الأمن يؤثر على الفكر، وعلى أنواع الأمن المتعددة، لذلك فقد رافق الحياة في كل العصور والأزمنة، بما يتفق مع الفطرة التي جُبل عليها البشر وهي غريزة البقاء وغريزة الدفاع عن الحياة، وسلامة الجسد، وصيانة الكرامة والممتلكات، وتطورت أساليب الدفاع، والحفاظ على الأمن بشكلٍ عامٍ، والأمن المجتمعي بشكلٍ خاصٍ منذ أن خلق الله تعالى الإنسان، وحتى يومنا هذا.

ان كل من يبحث في موضوعٍ ما لا بد أن يُكوِّنَ فكرةً عنه؛ فيبحث، ويتقصى مما يتوافر لديه من مصادر تخص هذا الموضوع، وبداياته، والشواهد التي تدل عليه، وخصوصاً عندما يتعلق الموضوع بتاريخ الأمن المجتمعي، فإنه يُعد من المواضيع التي بدأت تأخذ مرتبةً متقدمةً بعد التطور الكبير الذي شهده العالم، وفي ظل الثورة المعلوماتية الكبرى، ومع تطور وسائل الإعلام والمواصلات، وسهولة انتقال الثقافات، من بلدٍ إلى آخرٍ، وتأثُّر بعضها ببعضٍ، وما نتج عن ذلك مِن غزوٍ فكريٍ وثقافي منحرفٍ يهدِّد الأُمَّة في عقيدتها وأخلاقها ومبادئها، وفي أمنها

(١) ينظر : المسند،احمد بن حنبل ، المسند ، (٥، /٤١١).
(٢) ينظر : فقه التمكين في القرآن الكريم ، علي محمد الصلابي ، ص٤٦٣.
(٣) ينظر : فلسفة التربية الاسلامية ، ماجد عرسان الكيلاني ، ص١٧٩.
(٤) في هذه الحادثة التي تُعد أول جريمة تقع على الأرض في زمن آدم عليه السلام وقد صور لنا القرآن الكريم هذه الحادثة كما في سورة المائدة الآية: ٣٠.

واستقرارها[١].

لذا عني الإنسان بمعرفة الدين منذ بدء الخليقة، وقد أثبتت تلك الدراسات التاريخية، والأثرية على حدٍ سواءٍ، وكان الدافع الأقوى للبحث عن الدين بعد غياب العلم بمعرفة الدين الحق، هو التشتت الذهني في تفسير مكنونات الطبيعة وأسرارها والخوف من بعض ظواهرها الطبيعية المتمثلة بالرعد، والزلازل، والبراكين، والرياح والهوام، وغير ذلك مما يشكل خطراً عليهم حيث كانوا يتخبطون في التفكير، والبحث عن آلهةٍ تحميهم مما كان يسبب لهم الخوف، والقلق من مثل هذه المظاهر، لذا فهم بحثوا عما هو أقوى منها ،ويقهرها ليلوذوا به في الأزمات، والمواقف التي تسبب لهم الإرباك، وانعدام الأمن، وكان الكهّان يرتلون القصائد الدينية المخترعة عند الشدائد لنيل عطف الآلهة، واكتساب معونتها في تسهيل مثل تلك الحالات[٢].

فإن من يتأمل أحكام الإسلام وتاريخ المسلمين يجد أنه لا يمكن أن يقوم مجتمع تحترم فيه الحقوق والواجبات كما في دولة الإسلام ، وفي أوج عزة دولة الإسلام وقوتها كان يوجد من غير المسلمين العلماء والأدباء والأطباء والنابغون في مختلف الفنون والأعمال ،وهل يمكن أن يكون لهؤلاء ظهور ونبوغ في أعمالهم لولا سماحة الإسلام ونبذه للتعصب الديني .

وإن من أعظم مبادئ التعايش العدل مع المخالف وجعل ذلك دليلا على التقوى التي رتب عليها أعظم الجزاء قال تعالى : {يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}[٣].

إن المعاملة الإسلامية لغير المسلمين في ظل دولة الإسلام تشير إلى تميز الحكم الإسلامي بصيانة الحقوق والأخلاق ودفع الظلم وإنجاز كل ما فيه خير للفرد والأمة في الحاضر والمستقبل. وبطبيعة الحال يشمل ذلك غير المسلمين ، فجعل النظام السياسي الإسلامي الحكم أمانة[٤].

---

(١) يُنظر: الأمن الفكري الإسلامي بين المخاطر والمقاصد والوسائل، جنيد ساجد جهاد، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإمام الأعظم الجامعة، قسم الدعوة والفكر، ١٤٣٥=٢٠١٦م. ص:٢٠.

(٢) يُنظر: الفكر الاجتماعي في الإسلام، شلال حميد سليمان (٢٠٠٥م)، جامعة بغداد، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الديني، غير منشورة، ص:٧١.

سورة المائدة / ٨.

(٤) انظر : الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين : عبد المنعم أحمد بركة ، ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٠ ، ص٨٥ ؛ أركان وضمانات الحكم الإسلامي : محمد مفتي ، ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، الكويت ، العدد ١٢ ، ١٤٠٩هـ؛ ص١١٠، التقسيم الإسلامي للمعمورة : محيي الدين محمد قاسم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٤١٧هـ،، ص٩٩ .

يجب تحقيق مفهوم العدالة فيها تطبيقاً وتنفيذاً شرعياً كما قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ }(١) .

ولا شك أن وجود السلطة القضائية المستقلة العادلة النزيهة (٢) لهو أكبر الضمانات لمحاكمة تتوافر لها عوامل الحيدة والنزاهة والاستقلال(٣) . ومن صور المساواة والعدالة في الحكومة التسوية في مجلس القضاء والاستماع إلى الخصم غير المسلم وعدم الضيق بهم والحنق عليهم(٤) كما جاء ذلك في توجيهات النظم القضائية الإسلامية .

ان علماء الإسلام في عصور الازدهار الحضاري الإسلامي لم يعرفوا ذلك الانفصام بين علوم الدنيا وعلوم الدين، إذ كان العالم منهم يبرع في العلوم الشرعية كما يبرع في المجالات العلمية والفلسفية والاجتماعية وغيرها(٥)، انطلاقاً من توجيهات القرآن الكريم التي كما حثت على التفقه في الدين وتعلّم التأويل؛ حثت على النظر في ملكوت السموات والأرض واكتشاف سنن الأنفس والآفاق، ولمّا ابتعد المسلمون عن توجيهات القرآن الكريم في عصور التخلف الإسلامي، حدث ذلك الانفصام بين علوم الدين وعلوم الدنيا، إذ أصبح لعلوم الدين مجالاتها المنفصلة عن مجالات علوم الدنيا، مما فاقم كثيراً من أزمة التخلف والتأخر الحضاري للمسلمين.

ذلك أن بعض المسلمين قد اندفعوا نحو تيار النهضة الغربية الحديثة التي أسست حضارتها على أنقاض الدين والكنيسة؛ التي كانت تحارب العلماء وتضطهدهم، ولم يمعنوا النظر في أصول هذه النهضة العلمية الحديثة المستمدة جميعها من ثمار المعرفة الإسلامية في عصور الحضارة المجيدة، عن طريق الأندلس أو بغداد أو إبان الحروب الصليبية، وكل العلم المنقول عن الإسلام كان علماً شمولياً قائماً على ضبط المناهج مع ارتباطه بقاعدة الإيمان، إذ أن العلم عند المسلمين كان مرتبطاً بالدين في عصور النهضة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً، وهذا هو سر ازدهاره وتقدمه العظيم في تلك العصور الخوالي(٦).

---

(١) سورة النساء / ٥٨ .

(٢) انظر : السلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي : محمد البكر ، الزهراء للإعلام العربي ، ١٩٨٨ ، ص٦٥٢ ،.

(٣) انظر : تبصرة الحكام : ابن فرحون ، (١ /ص١٥) ؛ معين الحكام : الطرابلسي ، ص٩ .

(٤) انظر : القضاء في الإسلام وآداب القاضي : جبر محمود الفضيلات ، دار عمار ،عمان ، ١٩٩٢ ، ص١١٩.

(٥) ينظر: محمد علي أبو ريان، أسلمة المعرفة_ العلوم الانسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية (مصر: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م) ص٤١-٤٦..

(٦) ينظر: محمد علي أبو ريان، أسلمة المعرفة_ العلوم الانسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية، ص٣.

ومن أجل النهوض حضارياً بواقع العالم الإسلامي، ينبغي تطوير المفهوم السائد للدراسات الإسلامية، والمنحصر في دائرة مواد بعينها هي ما يحتاج إليه الناس في المفهوم الضيّق لمعرفتهم بالله ﷻ؛ والمشتملة في الأغلب على المفردات الآتية: القرآن وعلومه؛ التفسير؛ الحديث وعلومه؛ الفقه؛ العقيدة؛ التصوف؛ السيرة والتاريخ الإسلامي، ويضاف إلى ذلك أن جميع هذه المفردات تفتقر إلى التدريب العملي، على اعتبار أن العلوم الإسلامية ليس لها صلة بالتدريب، وفي مقابل ذلك إخراج الكثير من المواد العلمية والأدبية كالطب والهندسة والزراعة والعلوم والفلك والاقتصاد والفن وغيرها عن نطاق العلوم الإسلامية(١).

حيث (ان للخطاب الديني دور كبير على ابقاء باب التغيير مفتوحاً ليتواءم مع التطورات من زمان لزمان ومن جيل لجيل وذلك من خلال النظر الى المستقبل بفكر منفتح وعقل قادر على التكيف مع متطلبات الزمان الذي يعيش فيه كون هذه الفترة الزمنية التي يمر بها مجتمعنا اليوم تحتاج الى ثقافة خطاب واعية قادرة ومتجددة على تغيير العقول الفردية ومن ثم تغير المجتمع الذي بدأ يتلاشى وينهار بسبب العصابات التكفيرية التي اصبحت جزءاً لا يتجزأ منه والذي بدأت تؤثر على العقول الفردية بشكل كبير جداً عمل على فقدانها مبادئها واصولها الدينية التي نمت وترعرعت عليها)(٢).

لذلك يجب الاكثار من الخطب الدينية المعتدلة التي لها الدور الكبير والنظم الواعية منذ عصور قديمة جداً في التجدد والتغيير واصلاح الامة كون الدين هو عماد المجتمع وصلاحه، كون التأثير الروحي للدين مازال قائماً ليس عند العرب فقط بل في جميع انحاء العالم الاسلامي، وان كان هنالك دور في تراجع المجتمعات والكيانات الاسلامية على المستوى العلمي والسياسي.

ومن مهددات الخطاب الديني:

اولاً: تحريف اهداف الخطاب الديني، ومن صور ذلك الغلو في مسائل السياسة والحكم والإمامة والخلافة، واعتبارها الغاية الأولى والأساس، حتى رأينا المغالين يعتبرون تحقيق هذه الأمور من اول الواجبات على المكلفين والعاملين في الدعوة. حيث ان هذا الغلو شنيع في بناء الشرع والذي يبين ان الغاية الأساس من الدعوة الى الله هي هداية الناس وتحبيبهم في عبادة الله وتوحيده وتقواه، حيث غرر المتشددون الكثير من الشباب في هذا الباب، حتى اوهموهم بأن

(١) ينظر: حسن الشيخ الفاتح، دور مؤسسات التعليم العالي في التدريب والبحوث في مجال الدراسات الإسلامية ص١٢-١٤.
(٢) الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع ، مصدر سابق، ص٥٧.

الحكومات القائمة اليوم كافرة وان الأرض اليوم مطبقة بالكفر والردة(١).

ثانياً: ظهور بعض الجماعات المتشددة والمنسوبة الى الدعوة الدينية والخطاب الديني ظلماً وبهتاناً، من خلال عدم وضوح ورؤية الاتجاهات الإسلامية وتضاربها وعدم او قلة التعامل مع قضايا العصر ومتطلباته فضلاً عن الانانية وحب الذات اي بسبب اعجاب المنتسبين الى الدعوة الدينية بنفسه وعدم رؤية مصلحة الأفراد والمجتمعات اي تفضيل مصالحهم الشخصية على المصلحة الفردية اي مصلحة الجماعة من خلال الجهل بالمقاصد الشرعية والتغاضي عنها، والخلل في ترتيب الأولويات(٢).

ثالثاً: الاعتماد كلياً على العقل اي القوانين العقلية الحاكمة دون الانجرار وراء العاطفة الهائجة من دون انضباط بالشرع حيث تعتبر هذه من الاسباب التي توقع في شرك الاعتقاد قبل الاستدلال بما هو ينفع وما هو يضر وما الذي يجب ان يكون صحيحاً، حيث ان العقل ممكن ان يعتريه ضعف في المدارك وقصور في التفكير والوقوع في الحيرة والاضطراب وسيطرة الخرافات عليه وغير ذلك.

وكذلك نرى ان العلاقة بين الاعلام والخطاب الديني علاقة مهمة جداً من حيث ان الاعلام هو الأداة التي تسوق الكلام وتنشره، من خلال دوره الكبير في نشر وتظهير الخطاب الديني وقياس اهميته وتأثيراته السياسية والاجتماعية وكيفية تعاطيه مع الواقع الاجتماعي والسياسي من خلال دور الاعلام في صناعة السلام وتعزيز فرص انضاج الحلول في مجتمعات منقسمة، حيث ان مبادرة طرح موضوع الخطاب الديني ودرس تأثيراته وفاعليته من خلال وسائل الاعلام ودوره في معرفة كيفية استخدام الخطاب وفنية توظيفه لخدمة اهداف سياسية او طائفية بعيداً عن المعنى الروحي والبعد الانساني لمضامين الخطاب(٣).

الخطاب الديني لا يمكن أن يُحقِّق مقاصده، ولا أن يَبْلُغ هدفه بلا إعلام يُركِّز على الثوابت فيه ويركز على محاسن الدين ويدعم محاور الاتفاق ويَنْتَقِي حاملي الرسالة من الأتقياء. حيث ان للإعلام الوطني دور كبير في التصدِّي للإرهاب، علمًا بأنه لا يمكن ان يختلف أي اثنان في أنّ للإعلام وسيلة مزدوجةُ الاستخدام؛ فقد تكون وسيلةَ بناءٍ وارتقاءٍ بالأوطان، وقد تكون وسيلة هدم وتفتيت للشعوب وللقيم، وكونها كذلك فهذا يدعو لمراجعة كل ما يصدر عن هذه الوسائل ومَن يتحدثون فيها، ويلقون الخطب الدينية او غيرها حيث للإعلام دور كبير في التشويه والرياء

(١) ينظر، بين الدين والفلسفة ، محمد يوسف موسى، القاهرة ١٩٥٩، ص١١٧.
(٢) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، مصدر سابق، ص١٤٧.
(٣) الاعلام والخطاب الديني في لبنان، د. جورج كلاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٧م، ص٧٩.

او البناء والتعمير[١].

وفي ظل النظام العالمي المعقد الذي يعيش فيه العالم الإسلامي لم تعد الفتاوى الفقهية التي تخص الأفراد بكافية في معالجة الأزمات المتعددة التي تهدد وجود المسلمين وكيانهم، فالأمة أضحت بحاجة إلى فقه حضاري يحسن فهم المسألة الحضارية بمجملها، والمسائل المتفرعة عنها، وما تشتمل عليه من تكليف كلي وتنظيمات وتأسيسات داخل الحضارة الواحدة وفيما بين الحضارات، من أجل ابراز الحضارة الإسلامية (كحالة أصيلة يدرسها هذا الفقه تقدم إمكانيات عليا على مستوى التأصيل والقواعد؛ وعلى مستوى المسائل والقضايا والأفكار والقيم والمبادئ؛ وعلى مستوى السنن والنواميس التي تؤكدها وتقررها من الاختلاف والتنوع الحضاري؛ فالتعارف والتحاور، فالتوازن الحضاري المأخوذ من الميزان السماوي والمناقض للطغيان الدولي والحضاري، وسنن التداول والإبدال الحضاري، وكذلك سنن التدافع الحضاري، تلك السنن والقيم التي تواجه مقولات راجت في الساحة العالمية من قبيل صدام الحضارات وصراعها، وحروب الثقافات)[٢].

* * *

(١) مقارنة الأديان، المسيحية، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٩٦٦،٤، ص٧٥.
(٢) سيف الدين عبد الفتاح اسماعيل، فتاوى الأمة وأصول الفقه الحضاري_ الأزمة ومقدمات الحل، ، ص٥٢٠-٥٢٢.

النتائج

بعد هذه الرحلة الماتعة في ثنايا الكتب والدراسات الفكرية والفلسفية لا بد أخيرا من وقفة تأمل واستذكار لما حققه البحث من مقاصد وما توصل إليه من نتائج؛ فنقول:

١- ينبغي أن يتصف الخطاب الديني بالعقلانية، فلا يمكن للشخص أن يتحدث بأحكام الإسلام ويُلقي بها على المسامع دون أن يفكّر في تحليلها وتفسيرها وإيصالها إلى أذهان الناس بالوسائل والأساليب المناسبة .

٣- أن الخطاب الديني يجب أن يركز على المساواة في الحقوق والواجبات لكل فرد من أفراد المجتمع ومن غير تفضيل لفرد على آخر تحت أي مسوغ كان ديني أو عرقي أو فكري أو سلوكي أو مجتمعي ، وهدفها بالأساس تحجيم التعصب الديني لدى الديانات والمذاهب المختلفة في المجتمع الواحد.

٤- يتصف الخطاب الديني بالوسطية، وهي عدم التعصّب لمذهب معين، بل الأخذ بالنافع من تراثنا الإسلامي.

٥- تتمثل الوسطية في الموازنة بين العقل والقلب، فلا يتحدّث بالعقل المجرّد عن العاطفة، ولا بالعاطفة البعيدة عن العقل، بل يمازج بينهما كي يتصل العقل مع القلب في الخطاب الإسلامي.

٦- يجب على الخطاب الديني المعاصر الابتعاد عن النَفَس الطائفي ويدعو إلى الوحدة والتقريب بين جميع المذاهب الإسلامية، تحت مظلة حب الوطن والتعايش السلمي،

٧- أما الخطاب الديني الموجّه إلى غير المسلمين فينبغي أن يتّسم بالتآلف والتعايش والمحبة لا التصادم والتشنيع، لأن ذلك سوف يصمّ الآذان عن سماع كلمة الحق، ويغلق القلوب عن أن يدخلها نور الهداية.

٨- إن مفهوم الأمن المجتمعي يُعد من المفاهيم الحديثة التي لم تعرف في ثقافتنا الإسلامية بلفظه، ولكن مضمونه قديم.

٩- إنّ للأمن المجتمعي الإسلامي حاجة ضرورية، لا تستقيم الحياة بدونه؛ بل هو أساس الأمن للمجتمعات عامة، وهو أهمها، وأساس وجودها واستمرارها، كونه عنصراً أساسياً في حفظ الضروريات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية بحفظها.

المصادر

- القران الكريم.

١. ابراهيم أبو محمد، من قضايا التحديات في القرن الواحد والعشرين_ التعليم في ضوء فكر سعيد النورسي، شركة سوزلر، القاهرة ٢٠٠٢م.

٢. أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الرويفعى الإفريقى، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤..

٣. ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ١٩٩٢،.

٤. أحمد بن حنبل، المسند، منشورات دار صادر، بيروت ـ لبنان،١٩٨٤.

٥. احمد رضا: معجم متن اللغة، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠م.

٦. جمال محمد بواطنة، تجديد الخطاب الديني المعاصر ضرورة ملحة، بحث ضمن المؤتمر العام الواحد والعشرون للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة، ٢٠٠٩م، .

٧. حسن الشيخ الفاتح، دور مؤسسات التعليم العالي في التدريب والبحوث في مجال الدراسات الإسلامية ،المكتبة الثقافية،بيروت، ١٩٩٢.

٨. سيف الدين عبد الفتاح، في ندوة الفكر الإسلامي المعاصر مفهوماته ومجالاته التداولية، عقدتها مجلة قضايا إسلامية معاصرة، مركز دراسات فلسفة الدين، السنة ٨، العدد ٢٦، بغداد، ٢٠٠٤.

٩. عبد الإله بن إبراهيم الحيزان، لمحات عامة في التفكير الابداعي ، مجلة البيان،الرياض، ٢٠٠٢م. .

١٠. عبد الكريم شورش، القبض والبسط في الشريعة، ترجمة دلال عباس، دار الجديد، بيروت، ٢٠٠٢م.

١١. علي محمد محمد الصلاَّبي ، فقه التمكين عند دولة المرابطين ، مؤسسة أقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة، ٢٠٠٦ م .

١٢. عمر عبيد حسنة، الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

١٣. عمر عبيد حسنة، الخطاب الإسلامي وقفة للمناصحة، المكتب الإسلامي،

القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٤. فاطمة عوض صابر؛ ميرفت علي خفاجة، أسس ومبادئ البحث العلمي ، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، الاسكندرية، ٢٠٠٢م.

١٥. ماجد عرسان الكيلاني ، فلسفة التربية الاسلامية ، مكتبة هادي ، مكة المكرمة ، ١٤٠٩هـ. .

١٦. محمد الشريف الجرجاني ، التعريفات، تحقيق وزيادة: عبد الرحمن المراعشلي، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٧.

١٧. محمد عبد الغني هلال، مهارات التفكير الابتكاري؛ كيف تكون مبدعاً ، مركز تطوير الأداء والتنمية، مصر الجديدة: ، ١٩٩٧م .

١٨. محمد علي أبو ريان، أسلمة المعرفة_ العلوم الانسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية، دار المعرفة الجامعية، مصر،١٩٩٧م.

* * *